

اعصفي يا رياح

محمود محمد شاكر

اعصفي يا رياحُ مِنْ حيثما شئتِ .. وعفي الطُّلُوبَ والآثاراً^١
وانسفي يا رياحُ آيةَ هذا الليلِ حتى يحورَ ليلاً سراراً^٢
وازأري يا رياحُ في حرمِ الدهرِ زئيراً يُزلزلُ الأعمارا
اعصفي .. وانسفي .. كأنك سُخِّرْتِ خبالاً يُساورُ الأقدارا
اعصفي .. وازأري .. كأنك غيري قذفتِ حقدَها شراراً ونارا
اعصفي كالجنونِ في عقلٍ صبَّ هتكَ الغيظِ عزمه والوقارا
اعصفي كالشُّكوكِ في مُهجةِ الأعمى تخاطفنَ حسه حيثُ سارا
اعصفي كالفناءِ يَنْتَسِفُ الأوكارَ نسفاً ويصرعُ الأطيارا
اعصفي كالوفاءِ صادمه العدرُ .. فأغضى إغضاءً ، ثمَّ ثارا
اعصفي كالضلالِ يسخرُ مِنْ هادِ أذلَّ القفارَ علماً ، وحارا
اعصفي كالأسى أفاقَ مِنَ الصَّبْرِ فلمَّ يستطعَ قراراً ، وفارا
اعصفي وانسفي ، فما أنتَ إلا نعمةٌ تُنشئُ الخرابَ اقتدارا
عالمٌ لم يكنْ ولا الساكنوه غيرَ أشباحِ نِقمةٍ تتبارى!



اعصفي يا رياحُ غضبي بإعصارٍ مِنَ المقتِ ، جاحماً هدأراً^٣
كيفَ أبصرتِ ما طويبتِ مِنَ الدنيا بليلاً ، وما اخترقتِ نهاراً؟!

^١تعفي : تمحو وتزيل .

^٢يحور : يرجع . السرار : الليل الشديد الظلمة ، يكون آخر الشهر .

^٣جاحم النار : توقدها

اشْهَدِي : هل رَأَيْتِ عَقْلاً وَبُيلاً ، أَمْ جُنُوناً يَوْمَ خَزِيًّا وَعَارَا؟
وَخَفَايَا مِنَ الْخَبَائِثِ تَسْعَى ، وَحُقُوداً مِنَ الْخَنَى تَتَمَارَى
وَأَسَاطِيرَ حَيَّةٍ أَلْبَسَتْهَا قَيْنَةُ الدَّهْرِ ثَوْبَهَا الْمُسْتَعَارَا
وَأَبَاطِيلَ دَلَّتْهَا أَكَاذِيبُ ، فَأَضْحَتْ هُدًى وَأَمْسَتْ مَنَارَا
وَمَطَايَا تَخَوُّضُ فِي لُجَجِ الظُّلْمِ بَرَكِبُ لَا يَسْأَمُونَ السَّفَارَا
وَأَذِلَّاءَ يَشْمَخُونَ مِنَ الْكِبَرِ وَهُمْ فِي الْقِيُودِ حَسْرَى أُسَارَى!
وَدُمَى لَمْ تَزَلْ تَسِيرُ اضْطِرَاراً.. فِي غُرُورٍ يَنْفِي الْمَسِيرَ اضْطِرَارَا
وَبَقَايَا فَرَائِسٍ لَمْ تَكَدْ تَنْبِضُ حَتَّى أَحَدَّتِ الْأَطْفَارَا!
وَدَنَايَا تَخْتَالُ فِي زُخْرَفِ الْبَطْشِ.. تَخَالُ الْأَقْدَارَ مِنْهَا غِيَارَى!
فِي حَيَاةٍ مَخْبُولَةٍ أَسْكَرَتْهَا شَهَوَاتٌ تَبْقَى.. وَتُفْنِي السُّكَارَى
كُلُّ شَيْءٍ مَسْتَهٌ يَطْغَى.. فَلَا يَزْهَدُ طَبْعاً ، وَلَا يَعْفُ اخْتِيَارَا



اذْكُرِي يَا رِيَا حُ كَيْفُ تَدَسَّسْتِ إِلَى مُضْمَرِ الطَّوَايَا اقْتِسَارَا
كُنْتِ سِرَّ الْأَحْيَاءِ طُرّاً.. فَمَا يَمْلِكُ سِرٌّ عَنِ نَاطِرِيكَ اسْتِتَارَا
مُنْذُ جَاشَتْ فِي حَمَاةِ الْكُونِ أَمَالٌ تُرْجِي أَنْ تَبْلُغَ الْأَوْطَارَا^١
مُنْذُ تَهَادَتْ غَرَائِبُ الْمُرْنِ تَخْتَالُ وَتُهْدِي الظُّلَالَ وَالْأَمْطَارَا^٢
مُنْذُ بَاحَتْ بِسِرِّهَا الزَّهْرَةَ الْأُولَى فَادَّكَّتْ فِي كُلِّ قَلْبٍ أُوَارَا^٣
مُنْذُ تَسَامَتْ فِي مَسْبَحِ الْجَوِّ فَتَخَاءُ وَدَارَتْ بِلَهْوِهَا حَيْثُ دَارَا^٤

^١ الحمأة : الطين الأسود .

^٢ المزن : جمع مُرْتَنَة ، وهي السحابة المحملة بالماء .

^٣ الأوار : حر النار .

^٤ الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .

مُنْذُ نَاحَتِ بِشَجْوِهَا ذَاتُ طَوْقٍ ، فَاسْتَجَاشَتْ بِنَوْحِهَا الْأَسْحَارَا^١
مُنْذُ حَنَّتْ فِي ظَلْمَةِ اللَّيْلِ حَيْرَى قَدْ أَضَلَّتْ أَثْرَابَهَا وَالْدِّيَارَا
مُنْذُ أَوْفَى عَلَى الْبِقَاعِ أَبُونَا الشَّيْخُ حَيْرَانَ لَا يُطِيقُ اصْطِبَارَا
مُنْذُ أَلَمَّتْ بِأَمَّنَا نَفْحَةَ الْأُنْثَى فَأَغْرَتْ بِشَيْخِنَا الْأَخْطَارَا
مُنْذُ أَصَاخَتْ لَكَ الْبَرَايَا خُشُوعًا.. فَضَّ فِيهِمْ حَيْنِكَ الْأَسْرَارَا
أَذْكَرِي كَيْفَ.. وَانظُرِي كَيْفَ أَضْحَوْا: أَعْبَادًا رَأَيْتِ أَمْ فَجَّارَا؟!
يَتَّبَاعُونَ قُدْرَةَ لَيْسَ تَفْنَى ، ثُمَّ يَفْنُونَ.. عَاجِزِينَ حَيَارَى!



أُنْصِتِي يَا رِيَا حُ ، صَرْخَةُ مَلْهَوْفٍ طَعِينٍ أَفْنَى اللَّيَالِي انْتَظَارَا
هَامَ يَسْتَنْفِضُ الْغُيُوبَ وَحِيدًا.. دَامِيَاتِ جِرَاحُهُ لَا تُوَارَى
كُلَّمَا ظَنَّ فِي دَوَاءِ شِفَاءٍ ، عَادَ دَاءٌ يُدْمِي جِرَاحًا عَذَارَى
أَفْرَارًا مِنَ الْجِرَاحِ تُدَاوِيهِنَّ ؟ كَلَّا ! أَيْقَنْتِ أَنْ لَا فِرَارَا!
سِرٌّ جَرِيحًا رَتًّا بِالْأَمِكِ الظَّمَى ، وَسَائِلٌ.. إِنْ اسْتَطَعْتَ حَوَارَا!
غَرِقَ الْعَالِمُونَ فِي عَيْلِمِ النُّورِ فَاطْفًا جِهَارَهُمُ وَالسَّرَارَا^٢
شَرِقُوا شَرْقَةً بِمَا حَصَلَّوهُ ، دَبَّحَتْ عِلْمَهُمْ فَعَارُوا وَغَارَا
أَيْنَ ؟ .. لَا أَيْنَ ! يَا رِيَا حُ أَجِيبِي ، مَرَّقِي الْحُجْبَ وَانزِعِي الْأَسْتَارَا
مَنْ مُجِيبُ الْإِكِّ ، كَاهِنَةُ الْآبَابِ ، فِي هَيْكَلٍ تَقَادِمَ دَارَا؟
شَادَ عِبَادُهُ الْمُحَارِبَ إِيمَانًا ، فَمَلُّوا ، فَأَعْرَضُوا كُفَّارَا!
سَكَّرُوا ، فَانْتَشَرُوا ، فَهَبُّوا يَزْفُونُ إِلَى هَيْكَلِ الْبِقَاءِ الْبَوَارَا^٣

^١ ذات طوق: الحمامة .

^٢ العليم: البحر، والبئر الواسعة الكثيرة الماء .

^٣ البوار: الهلاك .

أَخْلُوداً وَحِكْمَةً ، أَمْ ظِلَالاً وَأَحَادِيثَ تُضْحِكُ السُّمَّارَا؟
مَارِدٌ فِي الثَّرَى ثَقُلُّصُ عَنْهُ الشَّمْسُ ، يُمَسِي ثَرَى.. يَطِيرُ غُبَارَا!



اسْمَعِي يَا رِيحُ ، مَنْ ذَا يُنَادِيكَ وَقَدْ أَرَحْتَ الدِّيَاجِي السُّتَارَا؟
مُهْجَةً تَسْتَعِيثُ فِي دَعَلِ الْآثَامِ قَدْ أَطَبَقْتُ عَلَيْهَا شِفَارَا¹
قَدْ رَمَاهَا الْجَبَّارُ بِالْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، بِالْمَوْجِ طَاطِيَا زَخَّارَا
بِلَهِيْبٍ يَنْسَابُ رَهْوَاً ، إِذَا مَا خَامَرَ النَّفْسَ أَجَّ فِيهَا سُعَارَا
فَتْنَةً إِثْرَ فَتْنَةٍ إِثْرَ أُخْرَى ، هَدَمَتْهَا وَدَكَّتِ الْأَسْوَارَا
كَيْفَ تَرْجُو النِّجَاةَ فِي مَازِقِ ضَنْكَ وَحِيدَا لَا تَسْتَطِيعُ انْتِصَارَا؟
تَبْتَغِي ثَغْرَةً! وَكَيْفَ؟! وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئَا؟! يَا ضَلَّ ذَاكَ اغْتَرَارَا!
أَنْتِ فِي حَوْزَةِ الْآثَامِ تَعِيشِينَ ، فذُلًّا فِي الرِّقِّ لَا اسْتِكْبَارَا
اشْرَبِي الْكَاسَ مِرَّةً لَمْ تُشْعَشَعْ ، ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَمِيدِي خُمَارَا²
اغْدِرِي . نَافِقِي . أَضَلِّي . اسْتَبِدِّي ، خَالِطِي الْإِثْمَ وَاحْمِلِي الْأَوْزَارَا
أَنْتِ لِلْيَاسِ قَدْ خُلِقْتِ .. فَأَيْنَ الْيَاسُ إِنْ كُنْتَ تَفْرَعِينَ حِذَارَا؟!
هَكَذَا الْأَرْضُ .. فَادْهَبِي أَوْ أَقِيمِي.. لَيْسَ يُغْنِي أَنْ تَشْمِزِّي ازْوَرَارَا
سَيِّدُ الْجَوِّ وَالْجَوَارِحِ بَازٍ سَاقَطَ الطَّيْرَ دَامِيَاتٍ وَطَارَا³



¹ الدغل : الفساد .

² المزة : الخمر التي تلدغ اللسان . الخمار : ما أصاب الرأس من ألم الخمر وصداعها .

³ ساقط الطير : أسقطها وتابع إسقاطها .

أَنْصِتِي يَا رِيَّاحُ.. مَا أَبْشَعَ الصَّوْتِ ! لَقَدْ سَارَ فِي الْقُرُونِ مَسَارًا!
 أَحْنِينَا .. أَمْ صَرْخَةً ، أَمْ أَنْينًا ، أَمْ مُكَاءً ، أَمْ عَوْلَةً ، أَمْ جُورًا؟!^١
 أَمْ تَهَالِيلَ عَاكِفِينَ عَلَى الْأَوْثَانِ عَجُّوا لَهَا وَضَجُّوا اعْتِدَارًا؟!
 أَمْ زُنُوجًا تَوَالَعُوا فِي الدَّمِ الْمَسْفُوحِ.. دَفُّوا وَهَلَّلُوا اسْتَبْشَارًا؟!^٢
 أَمْ مُسُوخًا مِنْ الْعَوَاطِفِ تَعْوِي سَخْرًا مِنْ رِثَائِهَا وَاحْتِقَارًا؟!
 أَمْ كَشِيشَ الشَّحْنَاءِ ، هَمَّتْ ، وَفَحَّتْ ، وَتَنَزَّى لُعَابُهَا وَاسْتَطَارًا؟!^٣
 أَمْ صَلِيلَ الْأَحْقَادِ طَاشَتْ عَنِ الْكَظْمِ ، فَخَاضَتْ إِلَى التَّشْفِيِّ الْغِمَارِ؟!
 أَمْ هَزِيمَ اللَّذَاتِ فِي صَخَبِ النُّشُوءِ ، هَاجَتْ زَفِيرَهَا الْفَوَّارًا؟!^٤
 أَمْ وَغَى السُّخْرِيَّاتِ فِي لَغَطِ الْأَلَامِ تَسْتَصْرِحُ الدَّمُوعَ الْغِزَارًا؟!^٥
 أَمْ عَوِيلَ الْمُنَى الْبِوَالِيِ عَلَى أَجْدَاثِ هَمٍّ مَضَى وَأَبْقَى تَبَارًا؟!^٦
 أَمْ تَسَابِيحَ خَاشِعِينَ مِنَ التَّقْوَى أَسْرُوا مِنْ خَشْيَةِ إِسْرَارًا؟!
 أَمْ تَكَذِيبَ ؟! بَلْ تَكَذِيبُ ! هَلْ تُبْصِرُ إِلَّا الْهُدَاةَ وَالْأَبْرَارًا؟!
 قَدْ أَرَادُوا أَنْ يَجْتَنُوا ثَمَرَ الْخَيْرَاتِ حُلُومًا .. فَصَادَفُوهُ مُرَارًا!!



انظري يا رياحُ.. يا وَحْشَةَ الطَّرْفِ إِذَا دَارَ يَمَنَةً أَوْ يَسَارًا!
 مَا الَّذِي تُبْصِرِينَ ؟ أَشْبَاحَ فَانِينَ ؟! مِرَارًا تُرَى .. وَتَخْفَى مِرَارًا!
 وَجِدُوا ، ثُمَّ أَوْجِدُوا ، ثُمَّ بَادُوا .. وَاحْتَدَى نَسْلُهُمْ فزَادَ انْتِشَارًا

^١ المكاء : الصَّفير .

^٢ دفت جوارح الطير : إذا دنت في طيرانها من الأرض للانقضاض .

^٣ كَشِيشَتِ الْأَفْعَى كَشِيشًا ، وَهُوَ صَوْتُ جِلْدِهَا إِذَا حَكَتْ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، وَفَحَّتْ فَجِحًا ، وَهُوَ صَوْتُهَا مِنْ فَمِهَا .

^٤ الهزيم : الصوت ، وَهُوَ لِلرَّعْدِ خَاصَّةٌ .

^٥ الوغى : الصوت ، وَهُوَ لِلرَّعْدِ خَاصَّةٌ .

^٦ التبار : الهلاك .

وَتَمَادَى الْبِقَاءُ فِيهِمْ دَوَالِيكَ .. فَشَيْءٌ بَدَأَ .. وَشَيْءٌ تَوَارَى!
أَوْغَلُوا فِي الْحَيَاةِ جِيلاً فَجِيلاً ، وَتَجَلَّى طَرِيقَهُمْ وَأَنَارَا
فَمَضَوْا يُبَدِّعُونَ فِي حَيْثُ حَلُّوا ، وَتَبَارَوْا حَضَارَةً وَابْتِكَارَا
مَا كَفَاهُمْ مَا بُلُّغُوا ، فَاسْتَطَالُوا .. ثُمَّ خَالُوا ، فَاسْرَفُوا إِصْرَارَا^١
شَغِفُوا بِالْخُلُودِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَأَعْطَتْهُمْ الْخُلُودَ الْمُعَارَا!
عَمَرُوا الْأَرْضَ زِينَةً وَمَتَاعاً ، ثُمَّ نُودُوا : كَفَى .. الْبِدَارَ الْبِدَارَا!!^٢
ثُمَّ مَرُّوا .. أَشْبَاحَ فَانِينَ ، مَا تَمَلَّكَ فِي حَوْمَةِ الرُّوَالِ قَرَارَا!
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطْفَةِ الْبَرْقِ .. إِذْ تَبَنَّى وَتُعَلَّى ، وَلَمْ يَكَدْ .. فَانْهَارَا!
نَهَبَتْ رِيحُهُمْ ، وَهَبَّتْ رِيَا حُ ، فَأَقَامَتْ عَلَى الْقُبُورِ الدِّيَارَا!
ضَلَّ هَذَا الْإِنْسَانُ ! يَكْدَحُ لِلْخُلْدِ .. وَأَقْصَى الْخُلُودِ : كَانَ .. فَصَارَا!



انْظُرِي يَا رِيَا حُ ذَا الْقَبَسِ الْوَهَّاجِ .. قَدْ رَاوَعَ الْفَنَاءَ اقْتِدَارَا!
عَاشَ تَحْتَ الْأَطْبَاقِ دَهْرًا فَدَهْرًا ، يَتَلَوَّى بِثِقَلِنِ انْهَارَا^٣
كُلَّمَا رَامَ مَنْفَذًا رَدَّدَتْهُ فِي ظَلَامِ الْأَعْمَاقِ يَعْنُوا صَغَارَا^٤
لَمْ يَزَلْ دَائِبًا .. يُنْقَبُ مُلْتَاعًا ، وَيَحْتَالُ فِي صَفَاهَا احْتِفَارَا^٥
صَدَعَ الصَّخْرَةَ الْمَلْمَمَةَ الْكُبْرَى ، وَأَسْرَى ، حَتَّى نَمَى فَاسْتَطَارَا
وَرَأَى نُورَهُ فَجُنَّ مِنَ الْفَرَحَةِ .. أَعْمَى رَأَى الظَّلَامَ نَهَارَا!

^١ خال الرجلُ : أعجبَ بنفسه وتباهى ، من الخيلاء .

^٢ بادر الشيءَ : مبادرةً وبداراً : أسرع إليه وعجل .

^٣ الأطباق : جمع طبق ، وطبق كل شيء ما ساواه ، يعني تراكم الظلمات بعضها فوق بعض .

^٤ يعنو : ذلَّ وصغر ، ومنه العاني ، أي الأسير .

^٥ الصفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الصلبة .

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟! وَمَا ذَاكَ؟! بَلْ هَذَا؟! .. وَزَاعَتْ لِحَاظُهُ اسْتِكْبَارًا
قَدْ رَأَى عَالَمًا مَهُولًا مِنَ الْمَجْهُولِ ، غَشَّاهُ نُورُهُ فَاسْتَنَارَا
لَيْسَ يَدْرِي : أَهْمُ عِدَىَّ .. أَمْ صَدِيقٌ؟!!!! أَيْبِينُونَ لَوْ أَرَادَ حِوَارًا؟
أَمْ صُمُوتٌ لَا يَنْطِقُونَ ، ازْدِرَاءً لِغَرِيبٍ عَنْهُمْ أَسَاءَ الْجِوَارَا؟!
وَإِغْلٌ يَعْتَدِي .. يُسَائِلُ عَنِ اسْرَارِ خَلْقِ أَجَلٍّ مِنْ أَنْ تُثَارَا!!
كَيْفَ غَرَّتْهُ نَفْسُهُ؟! كَيْفَ ظَنَّ الْغَيْبَ يُلْقِي لِثَامَهُ وَالْخِمَارَا؟!
أَمَلٌ بَاطِلٌ .. فَلَوْ اسْفَرَ الْغَيْبُ لِأَعْمَى بِنُورِهِ الْأَنْوَارَا!!

¹ الواعل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعو إليه أو ينفق معهم مثل ما أنفقوا .